إسهامات علم الدلالة
في حلّ بعض مشاكل الترجمة

ليلى فاسي
جامعة الجزائر 2

Abstract :

This paper aims to study the relationship between semantics and translation. It illustrates how an understanding of social and cultural context in which both meaning and signification operate can help translator in solving many problems that hinder translation process- The paper reminds the importance of making difference between meaning and signification.

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة العلاقة بين علم الدلالة والترجمة، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض المشاكل التي تعيق عملية الترجمة، ومن ثمّة نذكر إسهامات علم الدلالة في حلّ تلك المشاكل بغية تسهيل عملية الترجمة. بالإضافة إلى إبراز الفرق بين الدلالة والمعنى مع التركيز على السّياق الثقافي والاجتماعي الذي تنتج فيه الدلالة.

إن تأمل الإنسان للغة ومحاولته اللامتناهية في البحث فيها ودراستها، أدى به إلى التفكير في اختلافها باختلاف الشعوب والمناطق و في دراسة الاختلافات الدلالية من لغة إلى لغة أخرى. وكان أول ما أثار

الباحثين في الدلالة هي النصوص المقدّسة لذا نجد الدراسات الدلالية قديمة قدم اليونان والهنود والعرب.

لكننا لن نتناول في هذا المقال تاريخ الدراسات الدلالية رغم أنّها أسست للدراسات الحديثة– إنما سنتناول الدلالة في علاقتها بالترجمة، إذ رغم اختلاف العلمين إلاّ أنّ العلاقة قائمة بينهما من حيث أنّ الدراسة الدلالية لنص ما هي مرحل سابقة لعملية الترجمة لأن هذه الأخيرة لا تصحّ بأي حال من الأحوال إلاّ إذا تمّ فهم معاني النص فهما صحيحا بالإضافة إلى التوصل إلى كل ما تحمله هاته المعاني من دلالات. وهنا تجدر الإشارة إلى أن المعنى غير الدلالة لأن المعنى في حدّ ذاته يحمل دلالات مختلفة. ومن هذا المنطلق فإن علم الدلالة أو علم دراسة المعاني كما اصطلح على تسميته على أهمية كبيرة لما توصل إليه من حلّ لمشكلات عويصة في الترجمة التي لكن قبل التطرق إلى علم الدلالة وجب أن نعرف الدلالة والمعنى.

فما هي إذن الدلالة وما هو المعنى وعلى أي أساس اِنْبَنَتْ العلاقة مع الترجمة؟

إنّ المعنى الأساسي الذي تنطوي عليه لفظة الدلالة هو الإرشاد والهداية أو العلم بالطريق وذلك استنادا للتعاريف التي وردت في معاجم اللغة العربية: "الدلالة هي دليل ما سَيُبْدَلُ به، والدّليل الدّالُ، وقد دلّه على الطريق يَدُلُّهُ بفتح الدَّال أو كسرها أو ضمها و الفتح أعلى: (ابن منظور 1988: 394).

والدلالة أنواع: دلالة وضعية ودلالة عقلية ودلالة طبيعية.

1) دلالة وضعية:

وتعرف بالدلالة العرفية أو الإصطلاحية وهي نتيجة اتفاق أو تَوَاضُع أفراد المجتمع في اصطلاحهم على دلالة معيّنة. ويقتضي إدراك الدلالة

الوضعية العلم بما هو دال وما هو مدلول والعلاقة بينهما، ولن يتأتّى هذا بشكل طبيعي وإنّما هو نتاج ما يتواضع عليه المجتمع.

2) دلالة عقلية:

وتعرف كذلك بالدلالة المنطقية أي ندركها من خلال العلاقة التي تربط الدال بالمدلول كدلالة الدّخان على وجود النار، أي أنّ العقل يتوصّل إلى الدلالة الغائبة وهي النار عن طريق حقيقة حاضرة وهي الدخان وبما أنّ العقل هو من يربط بين الأمرين الحاضر والغائب سميت بالدلالة العقلية.

3) دلالة طبيعية:

ويتّم إدراكها من خلال علاقة طبيعية تربط الدال بالمدلول أي تربط بين حقيقة ظاهرة وحقيقة غائبة يكون الاقتران بينهما طبيعيا. ويعود هذا الارتباط إلى القوانين التي تسير وفقها الطبيعة وهي ليست علاقة لُزوميّة وإنّما نظام الطبيعة هو من أوجدها كدلالة السكوت على الرضي والرّقص والضحك على الفرح والحمرة عللا الخجل إلى غير ذلك.

أمّا المعنى فهو غير الدلالة لأنه نتيجة توالي الألفاظ بطريقة منطقية في سياق محدّد يتحكم فيه القصد والغاية التي ينشدها المتكلّم ولا يتجلّى ذلك للسّامع إلاّ من خلال الظروف التي قيل فيها لفظ ما ممّا يجعل المعنى أنواعا متعدّدة وقد ميّز العلماء بين خمسة أنواع للمعنى:

4) المعنى الأساسي أو التصوّري:

وهو معنى زائد على المعنى الأساسي يدرك من خلال سياق الجملة ويتغيّر بتغيّر الثقافة أو الزّمن أو الخبرة، فلِكلمة يهودي مثلا معنى أساسي وهو الشخص المنتمي إلى الديانة اليهودية، لكن معناها الإضافي أو الثانوي عند الجزائريين هو الخبيث الشرير، وكذلك كلمة مسمار معناها الأساسي هو أداة من أدوات البناء وفي ثقافة الجزائري هي إشارة للبخل.

5) المعنى الأسلوبي:

وهو الذي يحدّد الملامح الاجتماعية والجغرافية والثقافية للمتكلمين فكلمة أبي وبابا وإن كانت تبدو نفسها في المعنى الأساسي إلاّ أنها تدّل على ملامح مختلفة للمتكلم: أبي عربي فصيح يستعملها ذو الثقافة العربية أمّا بابا فهي عامية.

6) المعنى النفسي:

وهو معنى ذاتي شخصي ويشير إلى ما يتضّمنه اللّفظ من دلالات عند الفرد ولا يتميز بالتداول بين الأفراد. ويظهر ذلك بوضوح في كتابات الأدباء وأشعار الشعراء التي تنعكس فيها المعاني النفسّية للأديب أو الشاعر.

7) المعنى الإيحائي:

وهو ذلك النّوع من المعنى الذي يتصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء بسبب التأثير الصوتي المباشر مثلا خرير (المياه) بالإضافة إلى التأثير الصرفي والتأثير الدلالي.

يمكننا من خلال ما سبق ذكره أن نميّز بين المعنى والدلالة وما ذكرنا لأقسام الدلالة وأنواع المعنى إلا لهذا الغرض من باب التذكير لأن المجتمع والثقافة هما البيئة التي ينتج فيها المعنى والدلالة وعليه لم يغفل الباحثون عن الجانب الاجتماعي والنفسي للدلالة لأن الإنسان بطبعه محتاج إلى الحوار كونه يعيش في جماعة تفرض عليه المشاركة، وهذا ما جعل من اللغة ظاهرة اجتماعية مشتركة يستعملها البشر للتواصل فيما بينهم وللتعبير عن مقاصدهم. وتمكن اجتماعية الدلالة في كونها نتيجة اصطلاح واتفاق بين الناس أدى بهم إلى ربط كلّ التصورات الذهنية بمسميات معينة. ولم يتوقفوا عند هذا الحدّ بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وتوصلوا إلى أن فهم الدلالة يتجاوز اللّفظ ليشمل كلّ أقطاب العمليّة التواصلية بما فيها

من إشارات وحركات قد تغيّر المعنى الرئيسي للفظ وهم –الباحثون– بهذا يؤخذون بعين الاعتبار العاملين الثقافي والاجتماعي اللّذان يصحبان عملية التواصل ويؤثران بشكل كبير في تغيّر دلالات الألفاظ.

ولّما كانت الدلالة على هذا القدر من الأهمية عني بدراستها المتخصصون وظهر ما اصطلح عليه بعلم الدلالة La Sémantique وكان ذلك سنة 1827 على يد بريال (Bréal) و علم الدلالة حسب جورج مونان (George Mounin) هو "العلم الذي يعني بدراسة الدلالة اللغوية" (Mounin 1997 :8) أي الاهتمام بالمعنى وكل ما يدور حوله أي أنّ علم الدلالة لا يتوقف عند شكل الكلمة على غرار اللسانيات، وإنّما يدرس جوهرها ومضامينها بالإضافة إلى البحث في القوانين التي تدرس تغير المعاني وتطوّرها والقواعد التي تحكم اللغة. وهي مختلفة بطبيعة الحال باختلاف اللغات، ولن يتأتى هذا إلا بالإطلاع على ما توفر من نصون لغوية حتى تضبط المعاني وينفتح المجال أمام التطور الدلالي لألفاظ اللغة والذي يثري اللغة، الشيء الذي يسمح بتطورها وتجددها مع الحفاظ على أصولها لأن اللغة: "مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد تتناقلها الأجيال بضرب من الحتمية التاريخية، وكل ما في اللغة راهن إنما هو منقول عن أشكال سابقة هي الأخرى منحدرة من أنماط أكثر بدائية" (المسدي عبد السلام 104–1986).

يعني أن اللغة لا تبقى على شكل ثابت بل نتيجة لعدة عوامل متداخلة يطرأ عليها التغيير الذي يؤثر بطريقة مباشرة على معاني الألفاظ ودلالاتها. وقد حاول علماء اللغة البحث في هذا التطور حتى يتوصلوا إلى أسابه بالإضافة إلى رصد أشكاله وصوره، فتوصلوا إلى أنّ التطور الدلالي يخضع إلى عوامل مختلفة وهي كالآتي:

8) العامل الاجتماعي والثقافي:

عندما وجد الإنسان نفسه على وجه البسيطة كان ملزما بالتعامل مع محيطه فوجدناه في بادئ الأمر يتعامل مع كلّ ما هو محسوس يعني أنّ الدلالة بدأت حسيّة وذلك بتسمية الإنسان للعالم الخارجي وكل ما يحتويه من أمور ملموسة ومع تطوّر العقل البشري وانتقاله إلى مرحلة التفكر والتدّبر في كل ما يفوقه، ظهرت الدلالات المجرّدة وتعتبر هذه العملية أي الانتقال من المحسوس إلى المجرّد من مظاهر التطور اللغوي لدى الإنسان أين يتماشى النوعين بالتوازي كما قد يتراجع احدهما تاركا المكان للآخر علاوة على ذلك فإن الدلالة قد تضيق بعد أن كانت متسعة والعكس صحيح وهذه الظواهر كلها من سنن التغيير اللغوي.

9) العامل النفسي:

يؤثر العامل النفسي بشكل كبير على معاني الألفاظ لأن اللفظ في حدّ ذاته حسب لا يعكس حقيقة العالم بقدر ما يعكس اهتمامات المتكلم. فبعض الكلمات مثلا تحمل دلالات مكروهة بعيدة كلّ البعد عن الذوق الإنساني المرموق فنجد المجتمع اللّغوي يغيرها بدلالات أخرى ألطف وأحسن كأن نستبدل الكلمة الحادة بكلمة أقل حدّة ومثال ذلك استعمال كلمة Brown في اللغة الانجليزية عوض Black للدلالة على الزنجي احتراما لمشاعر هذه الفئة من الناس.

10) العامل اللّغوي:

يفتح تطوّر الحياة بكلّ مظاهرها الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية...إلخ المجال واسعا أمام ظهور دلالات جديدة قد تعجز اللّغة عن توفير المسميات أو الألفاظ لها، لهذا اضطر علماء اللّغة إلى اللجوء إلى بعض الحلول حتى لا تعاني اللّغة من الفراغ على الصعيد المفرداتي والدلالي، ومنها الاقتراض اللّغوي والاشتقاق بالإضافة إلى استعمال المجاز

أي الخروج باللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر وهذه حالات تشهدها كلّ اللّغات وذلك لطواعيّة اللّغة وقابليتها لاحتواء ما لا نهاية له من الدلالات. وظهور دلالة جديدة للفظ ما لا ينفي أبدا الدلالة الأصلية بل يتماشيان بالتوازي ضمن الخطاب اللّغوي، وبنا على ما سبق يتضح لنا أن الدلالة تتوقف على كل ما يتعلق بحياة الإنسان: دينه وثقافته وعاداته وتقاليده والقوانين المنظمة لحياته وحتى علاقاته مع محيطه وكيف يبني تلك العلاقات. وهذه العوامل كلّها مجتمعة تختلف من مجتمع إلى آخر وهذا الاختلاف هو ما يطرح في غالب الأحيان مشاكل أثناء الترجمة لأن مهمة المترجم لا تقتصر على الأسلوب فقط وإنما عليه نقل دلالات اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها بطريقة تمكن القارئ من الفهم دون تشويه لدلالات اللّغة المنقول منها. أي على المترجم أن يتخطى الصعوبات اللّغوية والدلالية حتى تصح ترجمته. ومن هنا تظهر أهمية علم الدلالة في حل بعض مشاكل الترجمة وهي كالأتي:

أ) **تغير الدلالة على المستوى التداولي:**

تختلف طريقة استخدام اللّغة من شخص إلى آخر حتى لو تعلّق الأمر باللغة ذاتها. بمعنى أن اللّفظ أو العبارة قد تحمل دلالات نفسية معروفة ومحدّدة، ولكن استخدام شخص معيّن لها في موقف معين قد يعطيها دلالات خاصة. ومن هنا تظهر أهمية السياق والمقام كعاملين أساسين في إنتاج الدلالة علما أن السياق يتعلق بظروف وملابسات الفعل اللغوي أمّا المقام فهو مجموع العناصر غير اللغوية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالنص الكلامي بهدف بلوغ المعنى المراد، فهو يضّم المتكلم والسامع والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة بين الماضي والحاضر ثم الفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات (بن شتوح عامر 2009). ممّا يجعل التواصل اللغوي عملية لا تعتمد فقط على الكفاءة اللغوية وإنمّا هناك مجموعة من الجوانب غير اللغوية التي يجب الإحاطة بها حتى نتمكن من الفهم

الصحيح للدلالة. وهنا تكمن الصعوبة في موقف المترجم الذي عليه الإحاطة بكافة الجوانب الدلالية والتركيبية والمعجميّة والسيميائية والتداولية.

ب) اختلاف المجال الدلالي للألفاظ:

تعتبر من الوضعيات الصعبة التي تواجه المترجم والتي تتطلب منه البحث الحثيث حتى يتوصل إلى الدلالة الصحيحة للفظ الذي هو بصدد ترجمته ويشمل المجال الدلالي:

تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى (Narrowing): أي أن تتحوّل دلالة اللّفظ من معنى عام وهو الدلالة الكليّة إلى معنى جزئي وهو الدلالة الجزئية ومثال ذلك كلمة الحجّ في اللغة العربية كانت تعني القصد والتوجه بالمفهوم العام لكن بظهور الإسلام أصبح معناها القصد إلى البيت الحرام، وكذلك الصلاة ومعناها الدعاء ثمّ أصبح اللفظ يعني دعاء من نوع معيّن وبصورة محدّدة وفي أوقات معلومة. وعكس التضييق نجد تعميم الدلالة أي توسيع المعنى Widening or extention of meaning وهو أن ننتقل من معنى عام إلى معنى خاص كأن نطلق لفظ العمّ على كل ذ كر بلغ سنًا محددة بدافع الاحترام علما أن لفظ العمّ له معنى خاص وهو يطلق على أخ الوالد. وبالإضافة إلى التخصيص والتعميم نجد رقي الدلالة وانحطاطها، وكلّها ظواهر تشهدها اللغات على اختلافها. وقد عني علم الدلالة بدراستها وضبطها حتى يتسنى لدارسي اللّغة على اختلاف تخصصاتهم ولاسيما المترجمين من تخطي مثل هذه الصعوبات وتسيير مهمة الانتقال من لغة إلى لغة أخرى دون أن يكون المجال الدلالي للفظ عائقا أمام المترجم.

ج) المجاز والاستعارة وتعدد المعنى:

اللغة نظام يخضع لقوانين تضمن الترتيب المنطقي للكلمات وتعاقبها بطريقة تجعل علاقتها ببعضها تنتج معنى على حدّ رأي عبد القاهر

الجرجاني الذي رأى أنّه على الرّغم من أهمية المفردات إلا أنها ليست الدالة، ذلك أن الدلالة هي نتيجة لضم الكلم بعضها إلى بعض وسبيل ذلك توخي معاني النحو وأحكامه "لا ينظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سبب من تلك". (الجرجاني عبد القاهر 2008–101).

وبهذا وجب على المترجم أن يكون على دراية بالعلاقات الدلالية المتمثلة في المجاز والاستعارة وتعدد المعنى لأنها:

العلاقات الدلالية هي من تجعل من لغة ما ظاهرة خاصة بالقوم الذين يتكلمونها لأنها تعكس ثقافتهم ومعتقداتهم وطريقة عيشهم. والمعروف عن المجاز أنه صرف اللّفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر أي أن نقصد باللفظ معنى غير معناه الحرفي لكن له علاقة غير مباشرة به. والاستعارة هي صور نخص بواسطتها كلمة بدلالة ليست هي الخاصة بها أي صورة ننقل بواسطتها الدلالة الخاصة بكلمة إلى دلالة أخرى لا تناسبها إلاّ بوجه شبه موجود في الذهن (ميشال لوغورن عن ديمرسيه 1988: 32). أما تعدد المعاني فهو ضرورة لغوية لحاجة المتكلمين المتزايدة للتعبير عن كل ما يجدّ في حياتهم ولعجز اللّغة أحيانا عن إيجاد مفردات جديدة نستعمل اللّفظ الواحد للدلالة على عديد المعاني.

وهذه الظواهر الدلالية كلّها مجتمعة قد تطرح مشكلا للمترجم في حال لم يكن عارفا ببيان اللغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل إليها. وتجدر الإشارة هنا أن المهمة الأولى للمترجم تتمثل: في التعريف بالآخر من خلال لغته، أي أنّ عملية النقل يجب أن تتم بالطريقة المثلى التي تمكننا من الإطلاع على الأخر دون تشويهه ولو كان الأمر غير ذلك لفقدت الترجمة غايتها الأسمى المتمثلة في مد الجسور بين مختلف الشعوب و الثقافات وفي اختزال المسافات و في العبور عبر الأزمنة و العصور.

خـلاصـة:

بينت المقاربة العلاقة بين علم الدلالة والترجمة وكيف أن العامل الاجتماعي والثقافي يؤثران في عملية إنتاج الدلالة والمعنى لكننا لا نهدف بأي حال من الأحوال أن نقول بضرورة أن يكون المترجم متخصصا في علم الدلالة حتى يتسنى له الترجمة، وإنما هدفنا من وراء هذه المحاولة أن نسلط الضوء على بعض المهارات التي وجب على المترجم التحلي بها حتى يتمكن من تخطي الصعوبات التي يطرحها الاختلاف الثقافي ومنها الإلمام ببيان اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها. بالإضافة إلى التحلي بقدرة استيعاب فكرين وثقافتين مختلفتين تمام الاختلاف وكونه الوسيط بين هاتين الثقافتين وجب عليه أن يدرك الثقافة الأجنبية بالطريقة نفسها التي يدركها المنتمون إليها. لأن الترجمة لا تنحصر في ترجمة اللّغة فقط وإنّما في طرح فكر جديد مختلف يهيء المجال لحالة من التفاعل الثقافي.